الدلالة السياقية
في آيات الصيام

م.د. صفاء توفيق كاظم صادق الفحام
جامعة بغداد
كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

مخلص البحث:

اشتمل هذا البحث على فصلين الفصل الأول دلالة السياق اللغوي والفصل الثاني دلالة السياق غير اللغوي فأما الفصل الأول فقد اشتمل على ثلاثة مباحث المبحث الأول الدلالة المعجمية الذي بحثت فيه عن دلالة لفظة ومالها من أبعاد في الجذر اللغوي ومعناها الاصطلاحي وتناولت في المبحث الثاني ما دلت عليه العبارات والجمل عبرَ أوجهها النحوية المتعددة وتناولت في المبحث الثالث التماسك والترابط في بناء النص عبرَ عباراتهِ المتناسقة المترابطة المنتظمة. وأما الفصل الثاني فقد اشتمل على خمسة مباحث تناولت في المبحث الأول ما ورد في هذا النص من دلالة فلسفية في واحد من أسمائه تعالى الحسنى وهو القريب وبحثتُ في المبحث الثاني عن مظاهر الدلالة الاجتماعية التي تناولها هذا النص الكريم وبحثت في الثالث عن الأوجه البلاغية ودلالتها في الإيجاز والاستعارة والتشبيه وتناولت في الرابع أبرز الملامح التاريخية، كغرض الصيام عن الأمم السابقة وتناولت في المبحث الخامس أبرز مظاهر الدلالة الشرعية التي تعد المحور الأساس من محاور هذا النص. الكلمات المفتاحية : الدلالة ، الصيام ، السياق المعجمي ، النصوص القرآنية .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآلهِ الطاهرين.. أما بعد فأن هناك كثيراً من النصوص القرآنية نزلت دفعةً واحدةً بيّن بعضها بعضاً ويشهد بعضها على بعض وهي لا تحتاجُ إلى تكلف في تفسيرها أو إلى اختلاف في بيان معاني آياتها ولاسيما النصوص المشتملة على الأحكام الشرعية التي أدى فهمها المتنوع إلى كثير من الخلافات بين المسلمين ومن هذه النصوص النص المشتملُ على آيات الصيام من الآية الثالثة وثمانين وإلى الآية سابعة وثمانين بعد المئة من سورة البقرة الذي أحببت أن أقف عندها متأملاً في آياته محللاً ما ورد فيها مستعيناً بكتب اللغة والحديث والتفسير وقد تعرضتُ إلى جانباً من هذه الخلافات في قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أهي شهر رمضان أن هي ثلاثة أيام من كل شهر ومنها يوم عاشوراء وقد ناقشت هذه المسألة في موضعها إضافة إلى ما وقع من خلاف في حكم المريض والمسافر يجب عليه الإفطار والقضاء فيما بعد؟ أم هو

مخيرٌ بين الصوم والإفطار. وما إلى ذلك من مسائل ومما وجدتُ في هذا النص أنه لا يشتملُ على الأحكام الشرعية المبيّنة للصوم حسب وإنما اشتمل على أنواع أخرى من الدلالة اللغوية التي تضمنت الدلالة المعجمية والدلالة النحوية والدلالة النصية لذا جاء تقسيم البحث على هذين الفصلين:

١- دلالة السياق اللغوي.

٢- دلالة السياق غير اللغوي.

وعلى الرغم مما قدمتُ وبحثت فلا يزالُ ذهني قاصراً وعقلي عاجزاً ولساني كالاً وقلمي ضعيفاً أمام هذا البحر الزاخر المتموج من المعارف والمعطيات والدلائل والمعجزات والكراماتِ والبيانات ولكن هذا ما استطعتُ أن أقدمه من جهد متواضع وأن بين يدي هذا السمو البياني الشامخ سائلاً المولى العلي القدير أن يتقبل مني في أحسن القبول وان يعفو عن سيئاتي وتقصيري وآخر دعواتي أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول : دلالية السياق اللغوي

المبحث الأول: الدلالة المعجمية:

إن لكل لفظةً من الألفاظ دلالتها الخاصة بها من حيث الجذر اللغوي لكل مفردة من المفردات هذا فضلاً عما يضيفه السياق من معنى إضافي لهذه المفردة، ولاسيما إذا تضمن النصُ مفردات ذات دلالة عبادية أو فقهية أو شرعية كما اشتمل عليه هذا النص وفيما يأتي نعرضُ للأبرز هذه الألفاظ ودلالاتها.

١- **الكتابة:** من المعلوم ان هذه المفردة تطلق على ما يكتب وجميع اشتقاقات هذه الكلمة دالة على ذلك إلا أنها أخذت دلالة أخرى وهي الفرض بحسب ورودها في المجال العبادي ولاسيما في الفرائض كالصلاة والصيام والقتال جاء في تفسير المواهب كَتُبَ تدل على مطلق الثبوت والأعمّ من الوجوب والندب وإنما يستفادَ أحدهما من القرائن وفي المقام يراد بهِ الفرض والوجوب لقرائن كثيرة كما هو واضح[١]. وأشار الطباطبائي إلى ما يقربُ من هذا المعنى والكتابة معروفة المعنى ويكنى بها عن الفرض والفريضة والقضاء الحكم كقوله تعالى: ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾[المجادلة: ٢١]. وقوله تعالى: ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**﴾[يس: ١٢]. وقوله تعالى: ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ [المائدة: ٤٥]... [٢] .

٢- **الصوم:** وجاء في مقاييس اللغة أصل يدل على إمساك وركود في مكان. من ذلك صوم الصائم هو إمساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما منعه ويكون الإمساك عن الكلام صوماً: قالوا في قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا**﴾[مريم: ٢٦]. أنه الإمساك عن الكلام والصمت[٣]. قال الزمخشري ومن المجاز هذا مصام الفرس ومصامته وهذه مصامات

الخيل[٤]. جاء في الميزان الصيام والصوم في اللغة مصدران بمعنى الكف عن الفعل كالصيام عن الأكل والشرب والمباشرة والكلام والمشي والحركة وغير ذلك وربما قال: أنه الكف عما تشتهيه النفس، وتتوق إليه خاصة، ثم غلب استعماله في الشرع في الكف عن أمور مخصوصة من طلوع الفجر إلى المغرب بالنية[٥]. إذن فالظاهر أن الأصل في هذه الكلمة هو الإمساك كالإمساك عن الحركة والكلام ونحوهما وبعد ذلك اختصت بالعبادة المعروفة (ص و م) تدل على السكون والإمساك، وتستعمل في الجماد والإنسان يقال صام الماء إذا أسكن ورعد وصامت الخيل إذا أمسكت عن السَّير والحركة والاعتلاف[٦].

٣- عِدّة: تدل هذه اللفظة على المجاوزة وذلك لأن ما يفوت الإنسان من صيام بسبب المرض أو السفر يقضى فيما بعد في بقية أيام السنة الأخرى فأن هذا واجباً على الإنسان كما هو المستفادُ من قوله تعالى: ﴿ **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥] أي يتجاوز صيام شهر رمضان إلى غيرهِ بسبب العذرين المذكورين آنفاً[٧].

قال ابن فارس: (تقول عدى عن الأمر يعدي تعدية. أي جاوزهُ إلى غيرهِ وعديت عني الهم أي نحيته عني. وعدا عني إلى غيري. وعد عن هذا الأمر أي تجاوزهُ وخذ في غيرهِ)[٨].

٤- طوقَ: أصل صحيح يدل على دوراه الشيء على شيء وأن يحق به فهما استدارته بشيء فهو طوق وسمي البناء طاقاً لاستدارته إذا عقد، وطوقتك الشيء، إذا أكلفتكهُ، فكلهُ من الباب وقياسه لأنه إذا أطاقه فكأنهُ قد أحاط به ودار به من جوانبه[٩]. فالظاهر مما تقدم أن هذا عذرٌ لا يعوض بالقضاء وإنما بالفدية كما قال تعال: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾[البقرة: ١٨٤] وذلك بسبب ما يواجهه الإنسان من مشقةٍ وتكلف وهذا ما سيأتي ببيانهُ في الدلالة الشرعية.

٥- طوع: مادة طوع تدلُ على الانقياد يقال: طاعه يطوعُه، إذا انقاد معه ومضى لأمره[١٠]. ويدل أيضاً على التسهيل يقال طوعت له أي سهلت له[١١]. وذكر الراغب أن التطوع هو إتيان بالفعل بالقبول والرغبة[١٢]. إذاً فالتسهيل يدللُ الصعوبات التي تواجه الصائم وكذا الانقياد إلى الأداء هذه الفريضة بالقبول والرغبة فأن يؤدي هذا العمل العبادي من تلقاء نفسه فهناك فرق جليٌ بين من يؤدي الفرض العبادي كارهاً وبين من يؤديه طاعاً راغباً فهذا هو الخير الذي وعد الله به عباده في مواضع متعددة من كتابه العزيز منها هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

٦- رمضان: رمض أصل مطرد يدل على حدةٍ في شيء من حد وغيره. فالرمض: حر الحجارة من شدة حر الشمس وأرض رمضةٌ: حارة الحجارة وذكر قوم أن رمضان اشتقاقهُ من شدة الحر لأنهم لما نقلوا اسم الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة، فوافق رمضان أيام رمض الحر[١٣].

لم ترد هذه المادة (رمض) في القرآن الكريم إلا في هذا المورد وذكر الخليل أن رمضان مأخوذة من الرمَضاء وهو مطر يأتي قبل الخريف يطهر وجه الأرض عن الغبار وإفادة بعضهم من هذا المعنى وهو تطهير قلوب هذه الأمة من الخطايا والرذائل(١٤). كما أفادوا من معنى رَمَضاء الدال على الحرارة والإحراق فقالوا أن رمضان يرمض الله فيه الذنوب أي يحرقها.

٧- **الرفث:** الراء والفاء والثاء أصل واحد وهو على كلام يستحيا من إظهاره أصله الرفث، وهو النكاح(١٥). وذكر آخرون أن الرفث هو الكلام الذي يقال عند حصول دواعي الجماع وهيجان الشهوة كما تدل عليه الهيئة التركيبية لهذه الكلمة المركبة من الحروف الاخفائية، فيستفاد منها أنه القول الخفي الذي لا يسمعه إلاّ مَن به نواله. فأطلق على نفس الجماع من باب الملازمة وحيث أنّ مثل هذا الكلام غالباً يوجب الوصول إلى المقصود، عُدّى بـ(إلى) تضمن معنى الإفضاء(١٦).

٨- **(ل ب س):** تأتي بمعنى ستر ما يقبح إظهاره غالباً واللباس ما يستر بهِ، وحيث أنّ كلّ واحد من الزوجين يستر الآخر من الوقوع في الحرام، أو يستر قبائح الآخر سميّ كل واحد منها لباساً، كما أن التقوى تستر جميع القبائح عبّر عنها باللباس في قوله تعالى: ﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾[الأعراف:٢٦](١٧).

٩- **(خ و ن):** الخاء والواو والنون أصل واحد وهو التنقصُ يقال خانهُ يخونه خوناً وذلك نقصان الوفاء ويقال تخوننني فلان حقي، أي تنقصني(١٨). وجاء في تحرير والتنوير أن الاختيان أشد من الخيانة كالاكتساب والكسب(١٩).

١٠- **عكف:** العين والكاف والفاء أصل صحيح يدل على مقابلة وحبس يقال: عكف يعكف ويعكف عكوفاً، وذلك إقبالك على الشيء لا تنصرف عنه(٢٠).

عكف الطير على القتيل وهم عليه عكوف ويقال أنك لتعكفني عن حاجتي والهدي معكوفاً وهو في معتكفه وشعر معكف: مجعد وعكف النظام الجوهر: حبسه لا يدعه يتفرق(٢١). ومنه من ذكر أن الاعتكاف أصل اللزوم يقال عكفت بالمكان أي أقمت به ملازماً لهُ وهو في الشرع اللبث في المساجد للعبادة وأصله ثلاثة أيام يصوم خلالها المعتكف ويكف عن بعض المباحات وفي الآية التي تبحث فيها ورد ذكر أحد شروط الاعتكاف وهو خطر النكاح ليلاً ونهاراً وهذه الإشارة جاءت لارتباطها بمسألة الصوم(٢٢). والاعتكاف ان يحبس الرجل نفسه في مسجد جماعةٍ يتعبد فيه فعليه إذا فعل ذلك إلا يجامع والا يتصرف إلا فيما لابد له منه من حاجته(٢٣).

المبحث الثاني: دلالة النحوية : نعني بالدلالة النحوية وهي الدلالة التي تستمد عبرَ العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعاً معيناً في الجملة حسب قوانين اللغة

إذ كل كلمة في التركيب لابدَّ أن تكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها[٢٤]. وتقسم المعاني أو الوظائف النحوية في العربية على قسمين:

١- **وظائف نحوية عامة:** وتتمثل في المعاني العامة التي تحصل من الجمل والأساليب كدلالة الجملة على الخبر والإنشاء والإثبات والنفي والطلب والشرط بأنواعه.

٢- **وظائف نحوية خاصة:** وهي المعاني التي تأتي من الصلة بين الوظيفة النحوية الخاصة والباب النحوي وذلك مثل وظيفة الفاعلية التي يؤديها الفاعل والمفعولية التي يؤديها المفعول، والحالية يؤديها الحال... وهلم جرا[٢٥].

فالعلاقات التي تربط مكونات الجملة ببعضها هي التي تحدد معنى الجملة "بحيث ترتبط الكلمات بعضها ببعض على حسب قوانين لغوية خاصة بالنظام النحوي وفيه تؤدي كل كلمةٍ وظيفة معينة"[٢٦]. وإذا كانت هذه العناصر كلها تؤدي دوراً كبيراً في إنشاء الكلام على وجه العموم فكيف بنا إذا بحثنا في هذه العناصر والتراكيب في رحاب القرآن الكريم فإنها من غير شك لها طعم آخر من حيث الدلالة والبلاغة والإعجاز، لأن كل جملة أو أسلوب أو عنصر من العناصر الأخرى من الأوجه النحوية المتعددة له دلالته القطعية في القرآن الكريم بشكل لا يؤدي عنصر آخر أو جملة أو أسلوب ما تؤديه هذه العناصر والجمل والأساليب في مواقعها المخصصة لها، فمثلاً لو جئنا فعلية مكان أسمية أو العكس لا يمكن أن تؤدي هذه الجملة من المعنى والدلالة مكان الأخرى وإنما كل جملة تقوم بأدائها بحسب الموقع المخصص لها فإن كان الكلام يتطلب جملة اسمية يؤتى بها، وأن كان يتطلب جملة فعلية يؤتى بها، وهكذا دواليك بالنسبة للعناصر والتراكيب والأساليب الأخرى في القرآن الكريم. ويعد الأعراب من أهم هذه العناصر فهو الأشهر والأوضح والأقوى وهو الدليل على موقع أكثر الألفاظ من التركيب ونقول أكثر الألفاظ لأن من أجزاء التركيب الحرف والمبني من الأسماء والأفعال[٢٧]. وأشار أكثر من نحوي قديم أو حديث إلى علاقة الإعراب بالمعنى إذ يقول المبرد ربطاً بين النحو والمعنى (كل ما صلح به المعنى فهو جيد، وكل ما فسد به المعنى فمردود)[٢٨]. ويتضح هذا المعنى من خلال تعريف ابن جني للإعراب بقوله: هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ[٢٩]. ويذهب الجواري إلى أن ظاهرة الإعراب ظاهرة قديمة ليست فقط في العربية بل في اليونانية القديمة واللاتينية وفي طائفة من اللغات السامية الأخرى وله أثره في المعنى يقول: (وبه تتعرف الألفاظ في معانيها التي تحملها ووجوهها التي تحملها ووجوهها التي تتحملها وبه يستدل على الجزء الأكبر من معنى التركيب[٣٠].

ومن أبرز الوجوه النحوية ومن أبرز مظاهر الدلالة النحوية في هذا النص:

١. **البناء للمجهول:** في قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾ [البقرة: ١٨٣] ويرى أبو حيان في البحر المحيط ان كتب جاء مبنياً للمفعول لأنه شاقاً على المكلف فناسب أن لا

تنسب إلى الله تعالى وأن كان الله تعالى هو الذي كتبها، حيث يكون المكتوب للمكلف فيهِ راحة واستبشار يبنى الفعل للفاعل كما قال تعالى: ﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[الأنعام: ٥٤] ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾[المجادلة: ٢١] ﴿ **أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ**﴾[المجادلة: ٢٢] وهذا من لطيف علم البيان(٣١).

والظاهر عندي أن البناء للمفعول في هذا الموضع للتعظيم لأنه المشرّع هو الله سبحانه ولو رجعنا إلى موضع آخر في هذا النص في قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٧]، لوجدناه مبنياً للمفعول وليس فيه مشقة بل على العكس من ذلك فيه باعث على الأنس والارتياح فهو يفيد التعظيم لأن الذي يحلُ ويحرم ويشرع هو الله سبحانه.

٢. **الظرف المنكّر الموصوف ودلالة الصفة:** وذلك في قوله تعالى :﴿ **أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ**﴾[البقرة:١٨٤] فأياماً ظرف منصوب العامل فيه الصيام أو الكتابة أي أن الصيام كتب في أياماً معدودات وأما وصف أيام بالمعدودات فهو مما يدل على يسر التكليف وسهولته وأنه غير خارج عن استطاعة المكلف(٣٢).

والمراد بالأيام من قوله تعالى: :﴿ **أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤] شهر رمضان عند جمهور المفسرين وإنما عبر عن رمضان بأيام وهي جمع قلة أيضاً تهوينا لأمره على المكلفين المعدودات كناية عن القلة لأن الشيء القليل يعد عداً لذلك يقولون: الكثير لا بعد ولأجل هذا اختير في وصف الجمع مجيئه في التأنيث على طريقة الجمع بألف وتاء وأن كان مجيئه على طريقة الجمع المكسر الذي فيه هاء تأنيث أكثر(٣٣). ويرى ابن عاشور أن معدودات أكثر من معدود، ولأجل هذا قال تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً**﴾[البقرة:٨٠] لأنهم يقللونها غروراً أو تغريراً وقال هنا معدودات لأنها ثلاثون يوماً(٣٤).

وذهب الرازي إلى أنه أيام معدودات هي صوم نسخ فيما بعد بشهر رمضان واستعرض أقوالاً في معنى أيام معدودات وبين أنه لو كان المراد بالأيام معدودات شهر رمضان لكان قوله تعالى: ﴿ **وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ**﴾ تكريراً محضاً من غير فائدة وأنه لا يجوز(٣٥).

وهذه مما لا يساعد عليه بناء السياق العام لهذا النص فلو كانت الأيام المعدودات غير شهر رمضان لما لم يبينها الحق سبحانه وعلامة هذا الغموض والإبهام.

وذكر الآلوسي ان المراد بأيام المعدودات رمضان وهو المختار عن ابن عباس والحسن وأبو مسلم وأكثر المحققين وهو أحد قولي الشافعي فيكون الله وسبحانه وتعالى قد أخبر أولاً أنه كتب علينا الصيام ثم بينه بقوله عز من قائل: شهر رمضان توطيناً للنفس عليه(٣٦).

ومما يؤيد كون المراد بأيام المعدودات شهرَ رمضان ما ذكره النحاة من إعراب فقالوا شهرُ خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي) شهر رمضان والضمير عائد على الأيام المعدودات أي أن الأيام المعدودات هي شهر رمضان(٣٧).

وجاء في مجمع البيان أن المعني بالمعدودات شهر رمضان عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي وأبو مسلم وعليه أكثر المفسرين قالوا أوجب سبحانه الصوم أولاً فأجمله ولم يبين أنها يوم أو يومان أم أكثر ثم بين أنها أيام معلومات وأبهم ثم بينه بقوله: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾ [البقرة: ١٨٥] قال القاضي وهذا أولى لأنه إذا أمكن حملهُ على معنى من غير أثبات النسخ كان أولى ولأن ما قالوه زيادة لا دليل عليه(٣٨).

٣. **الإضافة:** مما يلفت النظر في هذا النص إضافة لفظة شهر إلى رمضان فلم يقل رمضان وإنما قال شهر رمضان قال ابن عاشور وإنما أضيف لفظ الشهر إلى رمضان في هذه الآية مع الإيجاز مطلوب لهم يقتضي عدم ذكره أما لأنه الأشهر في فصيح كلامهم وأما للدلالة على استيعاب جميع أيامه بالصوم لأنه لو قال رمضان لكان ظاهراً لا نصاً، لاسيما مع تقدم قوله ﴿**أياماً**﴾ [البقرة:١٨٤] فيتوهم السامعون أنها أيام من رمضان. فالمعنى أن الجزء المعروف بشهر رمضان من السنة العربية القمرية هو الذي جعل ظرفاً لأداء فريضة الصيام المكتوبة في الدين فكلما حل الوقت المعين من السنة المسمى بشهر رمضان فقد وجب على المسلمين أداء فريضة الصوم فيه(٣٩).

ويبدوا إذا ورد في الخبر عن هشام بن سالم عن سعد عن أبي جعفر الباقر قال كنا عنده ثمانية رجال فذكرنا رمضان، فقال: لا تقولوا هذا رمضان ولا ذهب رمضان ولا جاءَ رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله عز وجل لا يجيء ولا يذهبُ وإنما يجيءُ ويذهبُ الزَّائِل ولكن قُولوا شهْرُ رمضان فأن الشهْرَ مُضَاف إلى الاسْمُ والاسْمُ اسم الله عزَّ ذكرهُ وهو الشهر الذي أنزِلَ فيه القرآن جَعَلَه مثلاً وعيداً(٤٠).

٤. **لام الأمر:** من المعلوم أن لام الأمر تدخلُ على الفعل المضارع فتجزمهُ ولهذه اللام دلالة في هذا النص القرآني وهي بيان الغاية من تشريع الصوم وفرضه في شهر رمضان الذي تكمن عظمتهُ في نزول القرآن جاء في تفسير الميزان اللام في قوله: ﴿ **لِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ**﴾ [البقرة:١٨٥] للغاية، هو عطف على قوله: يريد لكونه مشتملاً على معنى الغاية، التقدير وإنما أمرناكم بالإفطار والقضاء لنخفف عنكم ولتكملوا العدة. وتكرر هذا اللام في الجملتين الآتية: ﴿ **وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة:١٨٥] فأن ظاهر الجملتين على ما يشعر لام الغاية أنها لبيان الغاية غاية أصل الصيام دون حكم الاستثناء فإن تفيد قولهِ: شهر رمضان بقوله الذي ﴿ **أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ...﴾ مشعر بنوع من العلية وارتباط فرض صيام شهر رمضان بنزول القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فيعود معنى الغاية إلى ان التلبس بالصوم للأطهار كبريائه تعالى بما نزل عليهم القرآن وأعلن ربوبيته وعبوديتهم وشكر له بما هداهم إلى الحق(٤١).

ملحقات

أ. الرفع في موضع الخبر وذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥] وقد قدروا لذلك فعليه أي الصيام عدةً من أيام أخر وهو الذي اصطلح عليه بالقضاء أي قضاء ما فات من الصيام للمريض أو المسافر(٤٢).

ب. علل تعبيرية تتجلى هذه العلل التعبيرية البليغة في آية الدعاء من هذا النص دلالة قوله (عبادي) تدل على كمال الرأفة والاعتناء بالخلق، الاهتمام بالأمر، ولو قال: (خلقي أو الإنسان) وما اشبههما، لما أفاد ذلك إتيان الصيغة المؤكدة في قوله تعالى ﴿ **فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: ١٨٦] دون الفعل، الدالة على ثبوتها ودوامها، كما أنه حذف الواسطة ولم يقل (فقل أني قريب) ليدل على أن الإجابة منحصرة فيه تعالى(٤٣).

ج. **الأمر والنهي:** تختلف دلالة الأمر والنهي عند النحويين والأصوليين فقد يدل الأمر على الوجوب والإرشاد والإباحة والندب أي الاستحباب وللنهي أيضاً دلالاتهُ المتعددة في التحريم والكراهة وغيرهما وتتجلى هذه الصورة بوضوح في الآية الأخيرة من هذا النص أعني قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ...**﴾ [البقرة: ١٨٧]إذ ورد فيها أفعال الأمر والنهي باشروهن وابتغوا وأكلوا وأشربوا، فلا تقربوها ولا تباشروهن. فالنهي في قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ**﴾ [البقرة: ١٨٧]مقيد في العكوف في المسجد وليست مطلقاً والأمر بالمباشرة دال على الجواز(٤٤). وجاء في تفسير الأمثل وهذا الأمر لا يعني طبعاً الوجوب بل هو رخصة بعد المنع أو هو بتعبير الأصوليين (الأمر عقيب الخطر) ويدل على الجواز وعبارة ﴿**وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٧]إشارة إلى أن الاستفادة من هذه الرخصة الكافية في مسير قوانين الخلقة وحفظ النظام وبقاء النسل لا مانع فيه(٤٥). والمتأمل في دلالة النهي في قوله تعالى: ﴿ **فَلاَ تَقْرَبُوهَا**﴾ [البقرة: ١٨٧]يجد ان النهي عن القرب أبلغ عن النهي عن التجاوز فقال: فلا تقربوها ولم يقل فلا يتجاوزوها أو تصلوا إليها أو نحو ذلك من الألفاظ.

جاء في الأمثل ومن الملفت للنظر أن الآية لم تقل لا تتجاوز هذه الحدود بل قالت: ﴿ **فَلاَ تَقْرَبُوهَا**﴾ لأن الاقتراب منها يؤدي إلى إثارة الوسواس وقد يؤدي أحياناً إلى تجاوز هذه الحدود(٤٦).

٥. حروف الجر:

أ. **(على):** في قوله تعالى: ﴿ **عَلَى سَفَرٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤]أصل (على) دال على الاستعلاء ثم استعملت مجازاً في التمكن كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ**﴾[البقرة:٥]، ثم شاع في كلام العرب أن يقولوا فلان على سفر أي ليكون نص في التلبس، لأن اسم الفاعل (مسافر) يحتمل الاستقبال فلا يقولون على سفر للعازم

عليه[٤٧]. وقد عدي الفعل كبرَ بعلى في قوله تعالى: ﴿ **وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ**﴾ وإنما عدي هذا الفعل بعلى الدالة على الاستعلاء لكونه متضمناً معنى الحمد كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم[٤٨]. ويبدوا لي أن هذا القول فيه تكلف وإنما هو يدل على السببية أي بسبب هدايته إياكم والله أعلم.

ب. **من:** وجاءت من بيانية في قوله تعالى: ﴿ **الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾[البقرة: ١٨٧] أي يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود وذلك بطلوع الفجر الصادق أي نور الصبح من ظلمة الليل[٤٩]. ونقل عن ابن عاشور أقوالاً في معنى من في قوله من الفجر من ابتدائية أي الشعاع الناشئ عن الفجر أو بيانية أو تبعيضية[٥٠]. والظاهر ان من الأولى بيانية والثانية للابتداء الغاية الزمانية.

ت. **إلى:** وهو انتهاء الغاية وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾[البقرة: ١٨٧] فقد دل هذا الحرف على انتهاء وقت الصيام وابتدأ وقت الإفطار وإنما اختير للدلالة على تعجيل الفطر عند غروب الشمس لأن إلى لا تمتد معها الغاية[٥١].

وقد اختلف المسلمون في وقت الإفطار فمنهم من جعلوه بعد غروب الشمس مباشرةً ومنهم من ذهب إلى أن وقته عند دخول الليل أي بعد مدة وجيزة من غروب الشمس وذلك لدخول شيء من المعني في الغاية ولعل هذا هو الأقرب إذ لو كان وقت الإفطار بعد غروب الشمس لقالت الآية: ثم أتموا الصيام إلى الغروب.

ث. **اللام:** المتأمل في هذا النص يجدُ ان اللام يدل على كل ما هو عائد بالنفع على الإنسان في الدنيا والآخرة كما يبدو في قوله: ﴿ **فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ**﴾[البقرة: ١٨٤]، ﴿ **وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾[البقرة:١٨٤]، ﴿ **هُدًى لِّلنَّاسِ**﴾[البقرة: ١٨٥]، ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ** ﴾ [البقرة:١٨٧]، ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾[البقرة: ١٨٧]، ﴿**ابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ**﴾[البقرة: ١٨٧]. ونظائر هذا كثيرٌ في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى**﴾[الإسراء:٣٢]. وقوله: ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ**﴾[الإسراء: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾[التوبة: ٢٨].

المبحث الثالث: الدلالة النصية:

ومن الأمور المسلم بها أن النشاط الكلامي ذا الدلالة الكاملة لا يتكون من مفردات فحسب، بل يتكون من أحداث كلامية وامتدادات نطقية تكون جملاً تتحدد معالمها بوقفات أو بسكتات أو نحو ذلك، فأن علم الدلالة اللساني لا يقف فقط عند معاني الكلمات المفردة بل يتعداها إلى دراسة معنى الجملة، وإلى كل شكل لغوي له معنى وهذا يعني أن يشرح عالم اللغة كيف تحلل كل لغة خبرة الإنسان إلى وحدات حاملة المعنى[٥٢]. لذا فأن المتأمل في هذا النص القرآني المبارك يجد بوضوح التلاحم والتماسك بين آيات هذا النص وجملهِ من

حيث الترغيب في أداء هذه الفريضة العبادية وكتابتها على الأمم السابقة ورجاء التقوى وبيان الأحكام الخاصة للمريض والمسافر والمطيق بتكلف ومشقة وبيان أفضلية الصيام وأداء هذه الفريضة العبادية في شهر معين له خصائصه وفضائلهُ وهكذا إلى نهاية هذا النص كل ذلك يؤيد ما ذكرناه آنفاً من تلاحم هذا النص فليس من المعقول بل ومن الركاكة أن يقال: أن الصيام فرض في أيام معدودات غير معلومة أو أن المريض والمسافر مخيران بين الصيام والإفطار أو أن المكلف مخير بين الفدية وأداء فريضة الصوم وما إلى ذلك من مسائل.

وفيما يأتي سنقف عند أبرز المطالب الدالة على ذلك:

أولاً. وجوب قضاء الصوم على المريض والمسافر في بقية أيام السنة: جاء في الميزان وإذا تأملت الآيات الثلاثة وجدتها كلاماً موضوعاً على غرض واحد سياق واحد متسق الجمل رائق البيان(٥٣). وجاء في الأمثل استدل بعض بهذه الآية على أن الصوم كان في بداية التشريع واجباً تخيرياً، وكان المسلمون مخيرين بين الصوم والفدية ثم نسخ هذا الحكم بعد أن تعود المسلمون على الصوم، وأصبح (واجباً) عينياً، ولكن ظاهر الآية يدل على تأكيد آخر على فلسفة الصوم، وعلى أن هذه العبادة كسائر العبادات. لا تزيد عظمة إجلالاً، بل تعود كل فوائدها على الناس الشاهد على ذلك ما جاء في القرآن من تعبير مشابه لذلك كقوله سبحانه بعد ذكر وجوب صلاة الجمعة ﴿ **ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[الجمعة: ٩]، وبهذا تبين أن عبارة ﴿ **أَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٤] موجهة إلى كل الصائمين إلا إلى مجموعة خاصة(٥٤). ويستفاد ذلك من كلام الفخر الرازي هو أن الصيام خيرٌ لما فيهِ من الفوائد العظيمة النفسية والبدنية والأخروية أي أن هذه العبارة لا تدلُ على كون الصيام واجباً تخيرياً في بداية فرضهِ وإنما تدلُ على كونه أي الصيام خيرٌ مطلق(٥٥).

ثانياً. أن تكرار هذا التعبير: أعني قوله تعالى: ﴿ **وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤] ليس لمجرد التكرار أو التوكيد وإنما هو البيان حكم(*) المريض والمسافر وأما الآية التي ورد فيها هذا التعبير من قبل هذه الآية أعني قوله: ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٤] فهو من باب التوطئة والتمهيد لفرض الصيام لدفع المكلفين إلى أداء هذه العبادة رغبةً ومحبة وأما وضع الصيام عن المريض والمسافر فهو في هذه الآية ومما يلحظ في هذه الآية أنه لم ترد هذه العبارات ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ**﴾، ﴿ **فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا**﴾ ﴿ **وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ وهذا كلهُ يؤيد ما تقدم من المعنى. وجاء في تفسير الميزان أن إيراد هذه الجملة في الآية ثانياً ليس من قبل التكرار للتأكيد ونحوه لما عرفت أن الآيتين السابقتين مع ما تشتملان عليه مسوقتان للتوطئة والتمهيد دون بيان الحكم وأن الحكم هو الذي بين في الآية الثالثة فلا تكرار(٥٦). وبقية هنا أن نذكر ثمة فرقاً الهدى الأول والهدى الثاني في قوله تعالى: ﴿ **هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى**

وَالْفُرْقَانِ﴾ وقد اختلف المفسرون في ذلك ولكن الراجح عندي ما بينه صاحب الميزان في الفرق بينهما فقال بعد كلام مستفيض ومن هنا يظهر وجه التقابل بين الهدى والبينات من الهدى وهو التقابل بين العام والخاص فالهدى لبعض والبينات من الهدى لبعض آخر(٥٧).

ثالثاً. الفرق بين الإنزال والتنزيل: ويرى الشعراوي الفرق بين الإنزال والتنزيل بحسب الضرورة والتكليف فالإنزال مرة واحدة على هيئة واحدة على قلب رسول الله يفيد تثبيت واستدل بقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً**﴾[الفرقان: ٣٢] والتنزيل التدريجي منجماً بحسب الأحداث والوقائع والمتطلبات التي تفرضها الساحة الإسلامية(٥٨). وقد تعددت آراء المفسرين في ذلك واختلفت أقوالهم حتى وصلت إلى حد لا يطمئن إليه ويرى صاحب الميزان أن الفرق بين الإنزال وتنزيل هو أن الأول عبارة عن الأحكام أي وجودهُ كمعنى قبل أن يلبس بلباس الفظ العربي أما الثاني (التنزيل) هو عبارة عن التفصيل وهو مرحلة التلبس بألفاظ أي انتقل من الأحكام إلى تفصيل واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾[هود: ١]. فالأحكام هو الإنزال بالمعنى قبل اللفظ والتفصيل هو التنزيل والتلبس باللفظ عربي وقد استشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾[الزخرف: ٣](٥٩).

ورأي الطباطبائي هذا فريد من نوعه لم يشر إليه أحد من المفسرين فهو يرى أن القرآن على مرحلتين مرحلة المعنى وهي مرحلة الإحكام وليس الأحكام هنا هو المحكم كما ذكر وإنما هو الاحكام مقابل التفصيل كما استدل بالآية المذكورة آنفاً والمرحلة الثانية هي مرحلة التلبس بالباس لفظ العربي أي انتقل إلى التفصيل الذي فيه المحكم والمنشأ به وبقية العلوم والمعارف الأخرى وثمة فرق بين العباد والعبيد ففي آية الدعاء قال تعالى عبادي ولم يقل عبيد. وقد فرق الشعراء بين لفظة العبيد والعباد وساق في ذلك كلام طويلاً ابتعد عن البرهنة على ما يريد ويبدو لي والله أعلم ان لفظة العبيد تستعمل للرق والعباد للعبادة أي عبادة الله عز وجل وان كان مفرد هذه اللفظتين العبد(٦٠).

رابعاً. مما دل عليه هذا النص إرادة اليسر ورفع الحرج: وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[البقرة: ١٨٥] وهناك عدة آيات إشارة إلى هذه الحقيقة وهذه الإشارة في هذا النص تدور حول موضوع الصوم وفوائده وحكم المسافر والمريض لكن أسلوبها العام يجعلها قاعدة تشمل كل الأحكام الإسلامية ويصير فيها سنداً لقاعدة (لا حرج) المعروفة هذه القاعدة فقول لا تقوم قوانين الإسلام على المشقة وأن أدى حكم إسلامية إلى حرج ومشقة فأنه يرفع عنه مؤقتاً ولذلك أجاز الفقهاء التيمم لمن يشق عليه الوضوء والصلاة جلوساً لمن يشق عليه الوقوف(٦١).

خامساً. إقحام آية الدعاء في هذا النص الذي تحدث عن الصوم: فقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا**

سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾[البقرة: ١٨٦] وبعد هذه الآية عادة إلى بيان عدد من أحكام الصوم كبيان المفطرات وقت الصوم والعكوف في المساجد ونحوها ولعل السبب في ورود آية الدعاء في هذا الموضع هو أن الدعاء مظهرٌ جليل ومهم من مظاهر العبادة في شهر تتجلى عظمته في نزول القرآن الكريم أو لترغيب العباد وتحفيزهم على أن الدعاء يكون مستجاباً في شهر رمضان أكثر من غيره. قال أبو حيان ومناسبة هذهِ الآية لما قبلها أنه تعالى لما تضمن قوله: ﴿ **وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[البقرة: ١٨٥] طلب تكبيره وشكره بين أنه مطلع على ذكر من ذكره وشكر من شكرهُ يسمع نداءهُ ويجيب دعاءهُ(٦٢).

والآية دلت على إجابة دعاء الداعي تفضل من الله على عباده غير أن ذلك لا يقضي التزام أجابه الدعوة من كل أحد وفي كل زمان لأن الخير لا يقتضي العموم، ولا يقال إنه وقع في خير الشرط فيفيد التلازم، لأن الشرط هنا ربط الجواب بالسؤال وليس ربط للدعاء بالإجابة، لأنه لم يقل: أن دعوني أجبتهم(٦٣). وتشمل هذه الآية على مضمون رفيع، بأحسن بيان، وأرق أسلوب وأبلغ خطاب يلقى إلى السامع، وهو يُشعر بالعطف والحنان، واستقرار النفس بأنّ خالقها قريب منها يسمع دعاء من يدعوه بكل ما يدعوه، وهي تتضمن من الاتحاد الأدبية ما يلي: الالتفات عن خطاب المؤمنين بأحكام الصيام إلى خطاب الرسول (ص) وفيه من التذكير لهم بالدعاء والطاعة، والتنويه بشرف الرسول (ص) وعظمته، إلقاء صيغة التكلم للدلالة على كمال العناية بالدعاء والمدعوِّين(٦٤).

سادساً. ومما يلحظ في هذا النص: رجاء تحقيق الأهداف والغايات من أداء هذه الفريضة العبادية كرجاء التقوى والشكر والرشاد والعودة إلى التقوى في نهاية المطاف وهذا مما يدلُ على أن هذه الفريضة كغيرها من الفرائض الأخرى ليست هي الغاية وإنما هي وسيلةٌ لتحقيق الغايات والأهداف التي من شأنها أن تحفظ الإنسان وتوصلهُ إلى أعلى المقامات والمراتب عند ربهِ سبحانه. ومن المعاني الذي ذكرها الرازي في قوله: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ أي تتقون الله بصومكم وترككم للشهوات فأن الشيء كلما كانت الرغبة فيه أكثر كان الاتقاء عنه أشق والرغبة في المطعوم والمنكوح أشد من الرغبة في سائر الأشياء فإذا سهل عليكم اتقاء الله بترك المطعوم والمنكوح، كان اتقاء الله بترك سائر الأشياء أسهل وأخف(٦٥).

سابعاً. دلالة الاتمام: في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ فقال أتموا ولم يقل أكملوا وذلك لأن لفظة أتموا تدل على أنه واحد بسيطٌ وعبادة واحدة تامة من غير أن تكون مركبة من أمور عديدة كل واحد منها عبادة واحدة وهذا هو الذي يميز التمام والكمال وخلاصة المعنى ان الإتمام عبارة عن الفريضة الواحدة ذات الأجزاء المتعددة بحيث يكمل كل منها الآخر أي أن هذه الأجزاء غير مستقلة بنفسها وأما الإكمال فهو عبارة عن مجموع

هذه الفرائض التي يتكامل الدين بتركيبها وإضافة بعضها إلى بعض في حين ان كل فريضةً جزءٌ مستقل بنفسه، قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾[المائدة: ٣] فأن الدين مجموع الصلاة والصوم والحج وغيرها التي كل منها أثر يستقل بهِ، بخلاف النعمة(٦٦).

دلالة الأخبار الواردة:

وعبرت الآية عن الفجر أيضاً بأسلوب ضني تبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ومن الظريف أن (عدي بن حاتم) قال للنبي (ص) أني وضعت خيطين من شعر أبيض وأسود فكنت أنظر فيهما فلا تبين لي، فضحك رسول الله (ص) حتى رؤيت نواجذه ثم قال: "يا ابن حاتم إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتدأ الصوم من هذا الوقت" وهذا التعبير يوضع أيضاً الفرق بين الصبح الصادق والصبح الكاذب لأن الفجر فجران، الفجر الكاذب وهو على شكل عمود من الضوء يظهر في السماء كذبت السرحان (الثعلب) وبعده يظهر الفجر الصادق وهو بياض شفاف أفقي يظهر في أفق السماء كخيط أبيض يظهر إلى جوار الخيط الأسود، وهذا هو الصبح الصادق وبه يتعلق حكم الصوم والصلاة ولا شبه الفجر الكاذب(٦٧). وفي المريض والمسافر استعرض سيد قطب في ظلال القرآن والسيد السبزاوري في المواهب وغيرهما جملةٌ من الروايات عن النبي الأكرم (ص) انه حرم الصيام في السفر(٦٨). تدل (أياماً) على الزمن وتأتي مجملة، وقوله الحق عن تلك الأيام أنها (معدودات) يعني أنها أيام قليلة ومعروفة. ومن بعد ذلك يوضح الحق لنا مدة الصيام فيقول: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾[البقرة: ١٨٥]. ويستفاد من كلام الشعراوي في تفسيره وجوب الإفطار في حالتين المرض والسفر وقد استشهد بحديث رسول الله (ص): ((ليس البر الصوم في السفر)) ويرى شعراوي أن فريضة الصوم ابتدأت تخيرية ثم صارت واجباً بشكل تدريجي بعد أن ألف المسلمون الصوم مستشهداً بالفدية والتطوع(٦٩).

الفصل الثاني : دلالة السياق غير اللغوي

المبحث الأول: الدلالة الفلسفية:

تتعلق الدلالة الفلسفية بكل ما يرتبط بعلم الفلسفة وهو العلم المختص بالأسماء والصفات الإلهية ومراتب التوحيد وكل ما يرتبط بذلك فمن المعلوم ان القرب الإلهي من الأشياء لا يمكن أن يكون قرباً مكانياً أو زمانياً ولا يشبه أي نوع من أنواع القرب الأخرى وهذا ما ورد في آية الدعاء من هذا النص أعني قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[البقرة: ١٨٦]. جاء في المواهب القريب معلوم والقريب من أسماء الله الحسنى. وجميع أسمائه المقدسة حسنى وإنما التوصيف إضافي لا أن

يكون حقيقياً وهو إما أن يلحظ بالنسبة إلى الذات المقدسة قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾[هود:٦١[، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**﴾[سبأ: ٥٠] ويبن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾[الحديد: ٤]، وقد فصّل ذلك في الفلسفة تفصيلاً دقيقاً. أو يلحظ بالنسبة إلى رحمته الواسعة قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف: ٥٦]... [٧٠].

والمراد بقربه تعالى –في المقام–: القرب باللطف والرحمة والإجابة الذي لا حدّ له ولا نهاية، لا أن يكون قُرباً زمانياً أو مكانياً، فإنّه تعالى يجلّ عنهما وهو محيط بهما بالإحاطة القموميّة الحقيقية[٧١]. بقية هنا أن نشير إلى أن السؤال لم يكن عن الذات وذلك لأن الإجابة وقعت بقوله تعالى فأني قريب وظاهر أن السؤال كان عن الشأن أو الرحمة وعن المنِ في إجابة الدعوة[٧٢].

المبحث الثاني: الدلالة الاجتماعية:

من أنواع الدلالة التي تعمل على زيادة المعنى الدالة الاجتماعية وأطلق عليها أغلبهم الدلالة المعجمية، وهي الدلالة التي وضعت للألفاظ المختلفة تكتسب الدلالة الاجتماعية في اللغة الواحدة عن طريق التلقي والمشافهة بين الناس، فتنتقل معهم من جيل إلى جيل وبانتقالها يطرأ عليها بعض التغيرات مما يكسبها دلالة جديدة يتعارف عليها الناس. اهتم القدماء في هذا النوع من الدلالة فوضعوها في مصنفاتهم المختلفة دون الأخذ بعين الاعتبار لما يعتريها من تغير في الفترة التي سبقت جمعها، ودون الإشارة إلى تطور المعاني والاستعمالات ولذلك اختلفوا في مدلولات كثير من الألفاظ مما أدى إلى سوء فهم النصوص التي وردت من العصر الجاهلي والعصر الإسلامي وبعض المصنفات التي وضعت أعقلت البحث في تاريخ الألفاظ وتطورها، ولم تنسبها في كثير من الأحيان إلى أول الناطقين بها فالألفاظ تكتسب عن طريق صياغتها دلالات أخرى جديدة من خلال سياق الكلام كما أطلق عليه بعضهم المعنى السياقي[٧٣]. وهنا يلحظ في هذا النص ورود الفاظ تتجلى فيها الدلالة الاجتماعية بوضوح وهي تخاطب المجتمع كالصيام والتقوى والهداية والدعاء والشكر والرشاد واللباس والاختيان والتوبة والعفو والمباشرة وابتغاء الولد والنهي عن قرب الحدود إباحة الأكل والشرب ليلاً وإتمام الصيام نهاراً إلى الليل وسنقف عند أبرز المطالب التي تجسدت فيها الدلالة الاجتماعية:

أولاً. حكم الصيام حكم عظيم من الأحكام التي شرعها الله تعالى للأمة وهو من العبادات الرامية التي تزكية النفس ورياضتها وفي ذلك صلاح حال الأفراد فرداً فرداً إذ منها يتكون المجتمع وأفتُتِحَ النص "بياء إليها الذين آمنوا" لما في النداء من إظهار العناية لما سيقال بعدة[٧٤].

ثانياً. تكرار كاف الخطاب في أكثر من مورد وذلك من أجل تحقيق الأهداف المرجوة على صعيد الفرد والمجتمع إذ لا يمكن إهمال الفرد على حساب المجتمع أو العكس ويلحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ**﴾، ﴿ **مِن قَبْلِكُمْ**﴾ ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم**﴾، ﴿ **وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾، ﴿ **يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾، ﴿ **وَلِتُكْمِلُواْ**﴾، ﴿ **وَلِتُكَبِّرُواْ** ﴾، ﴿ **هَدَاكُمْ** ﴾، ﴿**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾، ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ**﴾، ﴿**تَابَ عَلَيْكُمْ**﴾، ﴿ **عَفَا عَنكُمْ**﴾، إلى غير ذلك من موارد هذا النص.

ثالثاً. وفي الآية الأخيرة من هذا النص من موارد الدلالة الاجتماعية ما فيها ابتداءاً من قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ**﴾ مروراً بقولهِ تعالى" ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾ وفي الكلام من اللطف والحسن ما لا يخفى وفيه من الاستعارة لأعظم أمر اجتماعي وهو الحياة الزوجية كما أن فيه من الترغيب إلى حسن المعاشرة والملاحظة والاعتناء بالحياة الزوجية كما يصحّ التعبير عنها بالفراش(٧٥).

المبحث الثالث: الدلالة البلاغية:

الأسلوب البلاغي أنه أهدى الأساليب وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكر المستقيم، وأبعدها عن الخيال الشعري لأنه يخاطب العقل ويناجي الفكر وشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء، وأظهر مميزات هذا الأسلوب الوضوح، ولابد من أن يبدو فيه أثر القوة والجمال وقوته في سطوح بيانه ورصانة حججه، وجماله في سهولة عباراته وسلامة الذوق في اختيار كلماته، وحسن تقديره المعنى في الإفهام من أقرب وجوه الكلام. فيجب ان يعني فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها الخالية من الاشتراك وأن تؤلف هذه الألفاظ في سهولة وجلاء حتى تكون ثوباً شفاف للمعنى المقصود، وحتى لا تصبح مثاراً للظنون ومجالاً للتوجيه والتأويل ويحسن التخي عن المجاز ومحسنات البديع في هذا الأسلوب(٧٦).

أولاً. التشبيه:

ونبدأ حدثينا عن التشبيه بالسؤال الآتي هل ما ورد في الآية الأولى من هذا النص في قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾[البقرة:١٨٣] يعد من التشبيه؟ والجواب عن ذلك ان التشبيه هنا في أصل فرض ماهية الصوم لا في الكيفيات والتشبيه يكتفى فيه ببعض وجوه المشابهة وهو وجه الشبه المراد في القصد، وليس المقصود من هذه التشبيه الحوالة في صفة الصوم على ما كان عليه عند الأمم السابقة(٧٧).

ولكن فيهم أغراضاً ثلاثة تضمنها التشبيهُ:

أحدهما: الاهتمام بهذه العبادة، والتنويه بها لأنها شرعها الله قبل الإسلام لمن كانوا قبل المسلمين وشرعها للمسلمين، وذلك يقتضي المراد صلاحها ووفرة ثوابها(٧٨).

الغرض الثاني: ان في التشبيه بالسابقين تهويناً على المكلفين العبادة أن يستثقلوا هذا الصوم فأن في الاقتداء بالغير أسوة في المصاعب فهذه فائدة لمن قد يستعظم الصوم من المشركين فيمنعه وجوده في الإسلام من الإيمان ولمن يستثقلهُ من قريبي العهد بالإسلام وقد أكد هذا المعنى الضمني قوله بعده ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ** ﴾[٧٩].

الغرض الثالث: إثارة العزائم للقيام بهذه الفريضة حتى لا يكونوا مقصرين في قبول هذا الفرض بل ليأخذوه بقوة تفوق ما أدى به الأمم السابقة[٨٠].

ومما ورد في تشبيه البليغ في هذا النص في قوله تعالى: ﴿ **وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ فقد شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق بالخيط الأبيض الممدود، وما يمتد من غبش الليل بالخيط الأسود الممدود، وهو تشبيه مألوف كثيراً. ولم يذكر من الفجر لكان استعارة تصريحية، ولكن ذكر المشبه إعادة إلى التشبيه البليغ المحذوف الأداة[٨١]. وجاء في الميزان أن قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ**﴾ من قبيل الاستعارة بتشبيه البياض المعترض على الأفق من الفجر المجاور لما يمتد معترضاً معه من سواد بخيط أبيض يتبين من الخيط الأسود ومن هنا يعلم أيضاً: أن المراد هو التحديد بأول حين من طلوع الفجر الصادق فأن ارتفاع شعاع بياض النهار يبطل الخيطين فلا خيط أبيض ولا خيط أسود[٨٢].

ثانياً. الإيجاز:

في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ جاءت بدون وساطة (قل) كما هو المعروف في جواب سأل أو يسألونك في القرآن الكريم ذكر الشعراوي أن الإجابة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ جاءت بدون وساطة (قل) كما هو المعتاد في القرآن ذكر الشعراوي أن الإجابة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ جاءت بدون وساطة (قل) كما هو المعتاد في القرآن فذلك لأن قل فيها شيء من الإطالة وهو سبحانه قريب من عباده وذكر مناسبة هذا السؤال بقوله لقد سألوا رسول الله: أقريب ربك فتناجيه أم بعيد فناديه؟ لأن عادة البعيد أن ينادي وأما القريب فيناجي، ولكي يبين لهم القرب، حذف كلمة (قل) فجاءت قول الحق وإذا سألك عبادي عني فأني قريب[٨٣].

ثالثاً. الاستعارة: تبدو واضحةً في قوله تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾ جاء في الميزان (الظاهر من اللباس معناه المعروف وهو ما يستر بهِ الإنسان بدنه، والجملتان من قبيل الاستعارة فإن كلاً من الزوجين يمنع صاحبه عن اتباع الفجور وإشاعته بين أفراد النوع فكان كل منهما لصاحبه لباساً يواري به سؤاته ويستر بهِ عورته. وهذه استعارة لطيفة، وتزيد لطفاً بانضمامها إلى قوله: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ**﴾ فإن الإنسان يستر عورته عن غيره بالباس. وأما نفس اللباس فلا شر عنه فكذا كل من الزوجين يتقي بهِ

صاحب عن الرفث إلى غيره وأما الرفث إليه فلا لأنه لباسه المتصل بنفسه المباشر له[٨٤].

المبحث الرابع: الدلالة التاريخية:

نجد في هذا النص المبارك إشارات تاريخية واضحة لا يمكن فهم النص القرآني الا عبرة الاضطلاع على الحوادث التاريخية للأمم السابقة أو على الممارسات والأعراف التي كانت تقوم بها هذه الأمة قبل نزول القرآن لذا سنشير بحسب ما تقدم إلى أنموذجين الأول أن الصيام كتب على الأمم السابقة كما كتب على هذه الأمة كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾[البقرة: ١٨٣].

وجاء في تفسير المنار أبهم الله هؤلاء الذين من قبلنا والمعروف أن الصوم مشروع في جميع الملل حتى الوثنية فهو معروف عن قدماء المصريين في أيام وثنيتهم وانتقل منهم إلى اليونان فكانوا يفرضونهُ لاسيما على النساء وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام ولا يزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون إلى الآن وليس في أسفار التوراة التي بين أيدينا ما يدل على فريضة الصيام وإنما فيها مدحه ومدح الصائمين[٨٥]. وقد بحث السيد السبزواري بحثاً مستفيضاً في الصيام الوضعي للأمم السابقة[٨٦].

والثاني يتعلق بحلية الرفث إلى النساء وهذه الآية فيها من الجنبات التاريخية التي إذا أطلع عليها المطلع يتمكن من معرفة ما يشتمل عليه النص من مضامين جاء في أسباب النزول عن البراء ابن عازب كان المسلمون إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويمسون النساء فالم يناموا لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلى مثلها من القابلة وان قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فأتى أهله عند الإفطار فانطلقت امرأته تطلب شيئاً وغلبته عيناه فنام، فلما انتصف النهار من غَد غشي عليه، قال: وأتى عمر امرأته وقد نامت فذكر ذلك للبني (ص) فنزلت: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ**﴾ ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ ﴿**عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ**﴾ ﴿**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**﴾ ﴿**وَعَفَا عَنكُمْ**﴾ ﴿**فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّـهُ لَكُمْ**﴾ ﴿**وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ ففرح المسلمون بذلك واستعرض روايات أخرى في هذا المضمون[٨٧].

وروي السيوطي قريباً من هذا المعنى[٨٨].

المبحث الخامس: دلالة الشرعية:

هذا النص القرآني الكريم اشتمل على فريضةٍ عظيمةٍ من فرائض الإسلام وهي الصوم وتحدثت آيات هذا النص عن أصل هذا الغرض وبينت أحكامه الخاصة بهِ من حلية الرفث وعدم مباشرة ذلك في حال الاعتكاف في المساجد واستمرار الأكل والشرب إلى طلوع الفجر والامتناع عنهما وعن غيرهما من المفطراتِ في سائر النهار إلى دخول الليل هذا كلهُ فضلاً عن بيان التشريع المستحب كالدعاء والشكر والتكبير إضافةً إلى تشريع هذه العبارة

وفرضها في أيام عظيمة وهي الشهر بالمبارك الذي أنزل فيهِ القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وفيما يأتي نعرضُ لأهم المطالب التي تتضح فيها صور الدلالة الشرعية:

أولاً. الصيام ويقال الصوم. وهو في اصطلاح الشرع: اسم لترك جمع الأكل وجميع الشرب وقربان النساء مدة مقدرة بالشرع بنية الامتثال لأمر الله أو لقصد التقرب بنذر ونحوه إلى الله(٨٩).

ثانياً. وجوب الصوم في أيام معدودات وهي شهر رمضان كما ذكره تبارك وتعالى في الآية الآتية فالآية الشريفة من المبينات وليست منسوخة وما قيل في ذلك واضح البطلان(٩٠).

ثالثاً. المراد بالسَّفر في المقام ما بينته السّنة المقدّسة حدوداً وشروطاً، وإلا فليس كلّ سفر موجباً لسقوط الصوم(٩١).

وروى مسلم والنسائي والترمذي عن جابر، قال: خرج رسول الله (ص) إلى مكّة عام الفتح، حتى بلغ كراع الغميم (وهو واد أمام عسفان) وصام الناس معه. فقيل له: أن الناس قد شق عليهم الصيام: وأن الناس ينظرون في ما فعلت: فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه. فأفطر بعضهم وصام بعضهم فبلغه ان أناساً صاموا فقال – ص– ((أولئك العصاة))(٩٢). وهذا الحديث واضح كل الوضوح في وجوب الإفطار في السفر ولاسيما في قول (ص): (أولئك العصاة) وقد كررها مرتين كما روى النسائي ومما يؤيد هذا المعنى الدلالة الصريحة في حديثه (ص): ((ليس البر الصيام في السفر))(٩٣).

رابعاً. الطاقة: حرف تمام الطاقة في الفعل، ولازمة وقوع الفعل بجهد ومشقة، والفدية هي البديل وهي هنا بدل مالي وهو إطعام مسكين أي طعام يشبع مسكيناً جائعاً من أوسط ما يطعم الإنسان، وحكم الفدية أيضاً فرض كحكم القضاء في المريض والمسافر لمكان قوله: (وعلى الذين)، الظاهر في الوجوب التعييني دون الرخصة والتخيير(٩٤).

خامساً. قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[البقرة: ١٨٥].

تدل هذه عبارة على إيجازها على ان التشريع الإسلامي بكل صورهِ ما يريد الله بهِ عسراً للإنسان فالإنسان هو الذي يشدد على نفسه ويعسر الأمور عليه وفريضة الصوم واحداً من الفرائض التي يريد الله بها يسراً للإنسان وان كان يواجه مشقة في أدائها فعلى الرغم من هذه المشقة فأن هذه الفريضة ليس فوق مستوى الطاقة بل هي توصلهُ إلى الأجر الجزيل والثواب الحسن والمقامات الرفيعة عن الله سبحانه وتعالى ويبلغ المكلف بها إلى رقي النفس وسموا الأخلاق وتهذيب الجوارح(٩٥).

سادساً. دلت الآية الأخيرة من النص أعني قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ** ...﴾ على حليّة الرفث إلى النساء في ليلة الصيام بعد أن كان محرماً كما يشعر لفظ البناء للمفعول (أُحِلّ) في قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ**﴾ والآية بنزولها شرعت

الحلّيّة ونسخت الحرمة كما ذكره جمع من المفسرين، ويشعر بهِ أو يدل عليه قوله: أحل لكم، وقوله: كنتم تختانون، وقوله: فتاب عليكم وعفا عنكم، وقوله: فالآن باشروهن، إذ لو لا حرمة سابقة كان حق الكلام أن يقال: فلا جناح عليكم ان تباشروهن أو ما يؤدي هذا المعنى وهو ظاهر(٩٦).

سابعاً. مر علينا أن العكوف والاعتكاف بمعنى الملازمة وهو من الناحية الشرعية الإقامة في المكان والملازمة له والاعتكاف عبادة خاصة من أحكامها لزوم المسجد وعدم الخروج منه الا لعذر والصيام معه، ولذلك من الممكن أن يُتوهَّم جواز مباشرة النساء في ليالي الاعتكاف في المسجد بتشريع جواز الرفث ليلة الصيام فدفع هذا الدخل بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ**﴾ (٩٧).

الخاتمة: وفي ختام هذا البحث أعرضُ لأهم النتائج التي توصلت إليها:

أولاً. التماسك النصِ المترابط مما يدل على أنه نزل دفعة واحدة هذا فضلاً عن ان كل آيةٍ توضح المقاصد بحيث تزيل الإبهام والغموض عن الآية التي تسبقها فمثلاً ﴿**أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ**﴾ تبين الزمان الذي كتب فيه الصيام وشهر رمضان يبين هذا الزمان ويحددُ وعلامة هذا الشهر هلالُ المُشاهَد الذي ورد فيه الأمر بالصيام.

ثانياً. أن آية الدعاء التي وردت في النص ليس خارجة بدلالتها عن دلالة السياق وإنما هي منسجمة معهُ وذلك لأن هذا الشهر الذي فرضت فيه هذه الفريضة من لوازمهِ الدعاء الذي يعدُ مظهراً مهماً من مظاهر العبادة إضافة إلى ذلك فأن آية الدعاء جاءت بعده الآية التي وردت فيها التكبير والشهر وهذه كلها صور مهمة من صور العبادة.

ثالثاً. اشتملت الآية الأخيرة من النص على جملة من الأحكام الشرعية والاجتماعية وقسم من هذه الأحكام تدل على أن هناك أحكام قد سبقتها بدلالة لفظة (أحلّ) فأنها تشعر بحكم سابق بالتحريم وكذا عبارة ﴿ **كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ**﴾ وعبارة ﴿**الآنَ بَاشِرُوهُنَّ**﴾.

رابعاً. الآيات الثلاث الأول كانت بمثابة التمهيد لوجوب الصوم الذي دلت عليه الآية الرابعة أعني قوله تعالى: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ وعلى هذا فأن سقوط الصيام عن المريض والمسافر جاء في الآية الثانية أي في قوله: ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ**﴾ وليس في الآية الأولى لأنها في مقام التمهيد والترغيب ولذا ليس من هناك تكرار أو توكيد.

خامساً. هيمنة الألفاظ الدالة على التشريع في هذا النص كالصيام والتقوى والكتابةِ والتطوع والفديةِ والهدايةِ وإكمال العدة وتكبير اللهِ وشكر اللهِ والدعاءِ والاستجابةِ والإيمانِ والرشادِ والإحلالِ والتوبةِ والعفو.

سادساً. تنوع الأهداف التي يرجى تحقيقها كالتقوى والشكر والرشاد وتكرار لفظة (لعَلّ) تدلُ على أن كل عمل يقوم به الإنسان لا يوصلهُ إلى درجة الجزم بما عند الله وإنما تبقى الأهداف في باب رجاء التحقق.

سابعاً. النص واضح الدلالة كما أسلفت في تماسكهِ وبناءهِ وظهور مقاصدهِ فليس هناك ما يدلُ على النسخ كما في ﴿**أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ**﴾ فأنها كما تقدمت بالمباحث هي شهر رمضان وليست عاشوراء وأيام أخرى كما ذكروا حتى نسخت بعد ذلك بشهر رمضان فأن هذا من باب إيجاد الخلل والضعف في قوة الترابط بين عبارة هذا النص علاوةً على ذلك فأني اتسائل هل أن كل ما ورد في تاريخنا مسلمٌ في صحته ومعول عليه حتى نتحدث عن بركت عاشوراً لدى الأمم السابقةِ وتنسب صيامه إلى النبي فما هي إلا من مزاعم الأمويين لطمس واقعة عاشوراء وجعل اليوم الذي قتل فيه الحسين – عليه السلام– يوماً مباركاً فجميع ما ذكر في ذلك من صيام الأمم السابقة في يوم عاشوراء لا يطمئن إليهِ وفيهِ لبس كثير.

هوامش البحث:

(١) مواهب الرحمن: ٤٠٣/٣.

(٢) الميزان: ٧/٢.

(٣) مقاييس اللغة: ٣٢٣/٣.

(٤) أساس البلاغة: ٥٦٥/١.

(٥) الميزان: ٤/٢، ينظر: البحر المحيط: ١٧٢/٢، تفسير المنار: ١١٥/٢.

(٦) مواهب الرحمن: ٤/٣.

(٧) ينظر: مواهب الرحمن: ٨/٣.

(٨) مقاييس اللغة: ١٠٨/٤.

(٩) مقاييس اللغة: ٤٣١/٣، ينظر: أساس البلاغة: ٦١٨/١.

(١٠) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٣١/٣.

(١١) ينظر: أساس البلاغة: ٦١٧/١.

(١٢) ينظر: مفردات في غريب القرآن: ٥٢٩.

(١٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٤٠/٣، أساس البلاغة: ٣٨٦/١، إعراب القرآن وبيانه: ٢٦٠/١.

(١٤) ينظر: الميزان: ٢٩/٣، العين: ٣٩/٧.

(١٥) مقاييس اللغة: ٤٢١/٢.

(١٦) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٢٦٨/١، مواهب الرحمن: ٩٠/٣، ينظر: مفردات في غريب القرآن: ٣٦٠، أساس البلاغة: ٣٦٧/١.

(١٧) مواهب الرحمن: ٩٠/٣، ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٧٣٥.

(١٨) مقاييس اللغة: ٢٣١/٢، ينظر: مواهب الرحمن: ٩٢/٣، ينظر: مفردات في غريب القرآن: ٣/٥، أساس البلاغة: ٢٧١/١، الميزان: ٤٥/٢.

(١٩) تحرير وتنوير: ١٨٢/٢-١٨٣، ينظر: البحر المحيط: ٢١٢/٢.

(٢٠) مقاييس اللغة: ١٠٨/٤.

(٢١) أساس البلاغة: ٦٧٢/١.

(٢٢) مواهب الرحمن: ٤٤٤/١.

(٢٣) معاني القرآن: ٢٥٧/١، ينظر: مواهب الرحمن: ٩٧/٣، الميزان: ٤٥/٢.

(٢٤) الدلالة عند ابن جني: ١٦٩، ينظر: اللغة العربية معناها ومناها: ١٣٥.

(٢٥) ينظر: أقسام الكلام العربي: ٢٠٩-٢١٣.

(٢٦) دلالة الألفاظ: ٤٨.

(٢٧) ينظر: نحو المعاني: ٣٤، دلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية: ٤.

(٢٨) المقتضب: ٣١١/٤.

(٢٩) الخصائص: ٣٥/١.

(٣٠) نحو تيسير: ٢٥.

(٣١) ينظر: البحر المحيط: ١٧٧/٢.

(٣٢) معاني القرآن: ٢٥٣/١، البحر المحيط: ١٨٠/٢، ينظر: الميزان: ٩/٢، مواهب الرحمن: ٦/٣.

(٣٣) التحرير والتنوير: ١٦١/٢، وينظر: البحر المحيط: ١٨١/٢.

(٣٤) ينظر: المصدر نفسه.

(٣٥) التفسير الكبير، الرازي:٢٤١/٥.

(٣٦) روح المعاني تفسير الآلوسي: ٤٥٤/١.

(٣٧) إعراب القرآن الكريم للنحاس: ٩٦/١، ينظر: التبيان للطوسي: ١٢٠/٢، ينظر: التحرير والتنوير: ١٦٩/٢.

(٣٨) تفسير مجمع البيان: ٦/٢.

(٣٩) التحرير والتنوير: ١١١/٢.

(٤٠) الكافي: ٦٩/٤-٧٠.

(٤١) الميزان: ٣١/٢، ينظر: من هدى القرآن: ٣٣١.

(٤٢) ينظر: الكشاف: ٢٢٦/١، ينظر: مواهب الرحمن: ٨/٣.

(٤٣) مواهب الرحمن: ٦١/٣.

(٤٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٣/٢، مواهب الرحمن: ٩٧/٣.

(٤٥) الأمثل: ٤٤٢/١.

(٤٦) الأمثل: ٤٤٤/١، ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٦/٢.

(٤٧)

(٤٨) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦٣/٢.

(٤٩) ينظر: الكشاف: ٢٢٨/١.

(٥٠) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٣/٢.

(٥١) التحرير والتنوير: ١٨٤/٢.

(٥٢) سامي عوض، هند عكرمة، الوظيفة الدلالية في ضوء مناهج اللسانيات، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة (٢٨)، عدد١، ٢٠٠٦، ص١٥٥، ينظر: نحو المعنى، ص٣٤.

(٥٣) الميزان: ١١/٢-١٢.

(٥٤) الأمثل: ٤٢٧/١.

(٥٥) الميزان: ٢٤/٢، ينظر: التفسير الكبير: ١٢٧/٢.

(*) الحكم نعني به حكم المريض والمسافر.

(٥٦) الميزان: ٢٤/٢، ينظر: مواهب الرحمن: ١١/٣.

(٥٧) ينظر: الكشاف: ٢٢٨/١، الميزان: ٢٣/٢، من هدى القرآن: ٣٢٨.

(٥٨) تفسير الشعراوي: ٧٧٥/٢-٧٧٦.

(٥٩) الميزان: ١٠/٢-١١.

(٦٠) ينظر: الشعراوي: ٧٨٢/٢.

(٦١) ينظر: الأمثل: ٤٣٤/١.

(٦٢) المواهب: ٦١/٣.

(٦٣) البحر المحيط: ٢٠٥/٢، ينظر: التفسير الكبير: ٢٦٠/٥، ينظر: المواهب: ٦٢/٣-٦٣.

(٦٤) التحرير والتنوير: ١٨٠/٢.

(٦٥) ينظر: تفسير الكبير: ٢٤١/٥، ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٥٢/١.

(٦٦) ينظر: الميزان: ٤٨/٢.

(٦٧) الأمثل: ٤٤/١.

(٦٨) ينظر: في ظلال القرآن: ١٦٩/١-١٧١، ينظر: المواهب: ٢١/٣.

(٦٩) تفسير الشعراوي: ٧٦٧/٢-٧٧١.

(٧٠) مواهب الرحمن: ٥٦/٣.

(٧١) مواهب الرحمن: ٥٧/٣.

(٧٢) البحر المحيط: ٢٠٥/٢.

(٧٣) هاني علي الهندي، أنواع الدلالة، منتديات ستار تايمز، ٢٠١٢/١١/٩. www.startimes, 19:26

(٧٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٤/٢.

(٧٥) مواهب الرحمن: ٩١/٣.

(٧٦) مصطفى لطفي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي: ١٣٨.

(٧٧) التحرير والتنوير: ١٥٦/٢.

(٧٨) المصدر نفسه: ١٥٧/٢.

(٧٩) المصدر نفسه.

(٨٠) المصدر نفسه.

(٨١) إعراب القرآن وبيانه: ٢٧٢/١-٢٧٣.

(٨٢) الميزان: ٤٨/٢.

(٨٣) ينظر: الشعراوي: ٧٨١/٢، وينظر: نظم الدرر: ٧١/٣، ينظر: التحرير والتنوير: ١٧٩/٢، ينظر: مواهب الرحمن: ٥٨/٣.

(٨٤) الميزان: ٤٤/٢، وينظر: البحر المحيط: ٢١٢/٢، ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٢/٢-١٨٣.

(٨٥) تفسير المنار: ١١٦/٢، ينظر: معاني القرآن وأعرابه: ٢٥١/١، ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٥/٢، ينظر: الشعراوي: ٧٦٧/٢.

(٨٦) ينظر: مواهب الرحمن: ٢٢/٣-٢٦.

(٨٧) ينظر: أسباب نزول القرآن: ٥٠/١.

(٨٨) ينظر: الدرر المنثور: ٤٢٨/١.

(٨٩) التحرير والتنوير: ١٥٤/٢.

(٩٠) ينظر: مواهب الرحمن: ١٥/٣.

(٩١) مواهب الرحمن: ٨/٣، ينظر: ظلال القرآن: ٦٨/١.

(٩٢) مواهب الرحمن: ٦/٣، ينظر: صحيح مسلم: ٧٨٥/٢، سنن الترمذي: ٨٠/٣، ينظر: سنن النسائس: ١٧٧/٤.

(٩٣) المصدر نفسه، صحيح مسلم.

(٩٤) الميزان: ١١/٢، ينظر: مفردات في غريب القرآن: ٥٣٣.

(٩٥) ينظر: تفسير الشعراوي: ٧٧٨/٢.

(٩٦) ينظر: الميزان: ٤٥/٢.

(٩٧) ينظر: الميزان: ٤٩/٢.

المصـــــادر

- القرآن الكريم.

١. الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٨-٢٠٠٧م.
٢. أنواع الدلالة، هاني علي الهندي، منتديات ستار تايمز ٢٠١٢/١١/٩. www.startimes9:26
٣. أساس البلاغة، محمود بن عم بن محمد الزمخشري (ت٧٣٨هـ)، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥.
٤. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٥. إعراب القرآن الكريم، أبو جعفر أحمد بن محمد إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير زاهد، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥.

٦. إعراب القرآن وبيانه، محي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سوريا، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار بن كثير، دمشق، بيروت، ط٤، ص١٤١٥هـ.

٧. أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٧٧م.

٨. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي أثير الدين محمد بن يوسف (ت٧٥٤هـ)، تحقيق محمد عادل عبد الموجود وآخرين، مطبعة السعادة، مصر، ٣٣٨هـ.

٩. الخصائص، ابن جنبي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

١٠. التبيان للطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٢. تفسير الشعراوي، الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

١٣. تفسير الكبير، الإمام فخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢.

١٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة الإسلامية والمكتبة الجعفرية، طهران، ودار الكتب العراقي، الكاظمية.

١٥. دلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية، علي عبد الفتاح محي، ديوان الوقف الشيعي، بغداد، ط١، بغداد- العراق، المركز الوطني لعلوم القرآن، ٢٠١٠.

١٦. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مطبعة محمد عبد الكريم حسان، ط٦، ١٩٨٦.

١٧. الوظيفة الدلالية في ضوء مناهج اللسانيات، سامي عوض، هند عكرمة، مجلة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة (٢٨)، عدد ١، ٢٠٠٦.

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٩. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة ومطبعة الباني الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٢٠. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢١. صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ص) وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ص١٤٢٢هـ.

٢٢. صحيح مسلم ، المختصر بنقل العدل عن العدل (ص)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٣. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٠.

٢٤. في ظلال القرآن، سيد قطب حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، ط١٧، دار الشروق، بيروت– لبنان، ١٤١٢هـ.

٢٥. الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٨هـ–٣٢٩هـ)، نشر الشيخ محمد الأخوندي، مؤسس دار الكتب الإسلامية، طهران، بارا ارسلطاني، ١٣٧٧.

٢٦. الكشاف، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ)، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٦٤/١٩٤٥م.

٢٧. اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، مصطفى لطفي، معهد الإنماء العربي، ط١، بيروت، ١٩٧٦.

٢٨. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ط٥، عالم الكتب للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٢٩. مجمع البيان، الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: الحاج باسم الرسولي المحلاتي، إحياء التراث العربي، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩١٤–١٩٣٩.

٣٠. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت– لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣١. مفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق– سوريا، ١٤١٢هـ.

٣٢. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة، ١٣٦٦هـ.

٣٣. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٣٤. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بلا.ت.

٣٥. من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، ط١، دار الهدى، ١٤٠٦هـ.

٣٦. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، ط٢، مطبعة شريعت، انشارات دار التفسير، إيران، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٣٧. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، ط٥، مؤسسة ومطبعة إسماعيليان، قم– إيران، ١٤١٢هـ.

٣٨. نحو التيسير، دراسة ونقد منهجي، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤.

٣٩. نحو المعاني، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧.

٤٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط.لا.

The Contextual Denotation in Fasting Verses

Dr. Safaa Twfik. K.S. Al. Faham
University of Baghdad/ College of Education Ibn Rushd
Department of Arabic Language

Summary

This research includes two chapters. The first on is the linguistic contextual denotation and the second is non-linguistic contextual denotation. The first chapter is divided into three units; the first one is the lexical denotation in which, I search the evocable denotation and its dimensions in the linguistic root and its idiomatic. The second unit includes what the phrases and the sentences has betokened throughout theirs many grammatical figures. In the third unit, the coherences and linkage in the text construction its coherent phrases and organized sentences.

The second chapter includes five units. The first on includes the philosophic denotation in God's name (Al-Qareib). The Second unit includes the social denotation semblances which this verses has dealt with. The third unit includes the rhetorical dials and its denotation in conciseness, metaphor and simile. The fourth unit includes the highlighted historical features as fasting imposing in the earlier nations. The fifth unit includes the highlighted religious features that consider the basic centerpiece in this context.